فان معنى اتيناك انزلنا اليك فيكون الكاف منصوب المحل على انه صفة مصدر
محذوف مدلول عليه باتيناك والتقدير انزلنا اليك سبعا من المثاني والقران
العظيم انزالا مثل انزالنا على المقتسمين وهم اهل الكتاب الذين جعلوا القران عضين
حيث قالوا بعنادهم وجهلهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه باطل مخالف
لهما فاقتسموه الى حق وباطل واقتسموا القول فيه فقال بعضهم انه سحر وبعضهم كهانة
او شعر او اساطير الاولين او افتراه فهو كما شبه انزاله على رسوله عم بانزاله
عليهم تسلية له عن تكذيبهم وعداوتهم وتوسط قوله ولا تمدن عينيك الى قوله
كما انزلنا بين المشبه والمشبه به اعتراضا بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات
الى اموالهم والتأسف على كفرهم ويحتمل ان يكون المراد بالقران كتبهم بان يكون
بمعنى المقرو والذي يقرؤنه ويكون المعنى على المقتسمين من اهل الكتاب الذين
جعلوا ما يقرؤنه من الكتاب مقسوما مفرقا بان امنوا ببعض كتابهم وكفروا
ببعض فما وافق اخذوه وما لم يوافق غيروه وبدلوه كما قال تعالى يجعلونه قراطيس هو اهم
تبدونها وتخفون كثيرا قوله واصلها عضوة من عضونة اي فرقته لان المشركين
فرقوا اقاويلهم في القران فجعلوه كذبا وسحرا وكهانة ونحو ذلك وقيل نقصانه الهاء واصله
عضهة لان العضة والعضين في لغة قريش السحر وهم يقولون للساحر عاضه وللساحرة
عاضهة قوله انه عم لعن العاضهة والمستعضهة فقوله تعالى جعلوا القران عضين
على هذا القول جعلوه اسحارا وقال الكسائي العضة الكذب والبهتان وجمعها عضون
مثل عزة وعزون فقوله تعالى وجعلوا القران عضين معناه جعلوه مفترى وعلى القولين
جمعت العضة جمع ما يعقل لما لحقها من الحذف فجعل الجمع بالواو والنون عوضا عن المحذوف
وفي الصحاح وعضيت الشيء تعضية اذا فرقته وفي الحديث لا تعضية في الميراث
الا فيما حمل القسم يعني ان لا يحتمل القسم كالحبة من الجوهر ونحوها لا يفرق وان طلب بعض
الورثة القسمة قوله وقيل هو عام في كل ما فعلوا وعلى القولين ضمير ليسألنهم يرجع الى المقتسمين
لانه الاقرب ويحتمل ان يرجع الى جميع المكلفين لتقدم ذكرهم في قوله وقل اني
انا النذير المبين اي لجميع الخلق فان قيل كيف الجمع بين قوله فوربك لنسألنهم اجمعين
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان اجيب عنه بوجوه الاول ان المعنى لا نسألهم
سؤال الاستفهام لانه تعالى عالم بكل اعمالهم بل يسألهم سؤال تقريع فيقال لهم لم فعلتم كذا
وهو ضعيف لانه كان المراد من قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه نفي سؤال الاستفهام لما كان في

كان في تخصيص هذا المعنى بقوله فيومئذ فائدة لان مثل هذا السؤال محال على الله
تعالى في كل الاوقات والثاني ان يصرف النفي الى بعض الاوقات والاثبات الى وقت اخر
لان يوم القيمة يوم طويل وفيه مواقف يسألون في بعضها ولا يسألون في بعضها
ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم انكم يوم القيمة
عند ربكم تختصمون ولقائل ان يقول قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه صريح في
انه لا يحصل السؤال في ذلك اليوم فلو حصل السؤال في جزء من اجزاء ذلك اليوم
يحصل التناقض والوجه الثالث ان قوله فيسأل عن ذنبه لا يفيد عموم النفي والضمير
في قوله فوربك لنسألنهم اجمعين يرجع الى المقتسمين فيكون خاصا والخاص مقدم على
العام قوله واصله الابانة والاظهار اصل الصدع الشق يقال صدعته فانصدع
اي شققته فانشق ويستعمل بمعنى التفرقة ايضا كقوله يومئذ يصدعون فقوله
فاصدع بمعنى فافرق بين الحق والباطل وافصل بينهما قال الزجاج معناه اظهر ما
تؤمر به اخذ من الصديع وهو ضوء الصبح قال الشاعر كان بياض غرته صديع وقال
المفسرون معناه اجهر بامرك وما مصدرية اي فاصدع بامرك وشانك وهو
تبليغ الرسالة والدعوة الى التوحيد وما يتفرع عليه من الاحكام قال ما زال
النبي عم مستخفيا حتى نزلت هذه الاية قوله نبال اي رجل يصنع السهام و
النبل السهم والاخمص ما دخل من باطن القدم بحيث لا يصيب الارض قوله
فسبح جواب شرط محذوف اي ان ضاق صدرك بما يقولون بمقتضى الجبلة البشرية
والمزاج الانساني فالتجئ الى الله فيما نابك بالاشتغال بهذه العبادات وهي اربعة
اشياء التسبيح والتحميد والصلوة والملازمة عليها ما دام حيا قال المحققون في
بيان كون هذه المذكورات سببا لزوال ضيق القلب والحزن ان الانسان اذا
اشتغل بهذه العبادات انكشفت له اضواء عالم الربوبية ومتى حصل له ذلك
الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة عنده فيستوي عنده وجدانها وفقدانها فلا يستوحش
من فقدانها ولا يستريح بوجدانها وعند ذلك يزول الحزن والغم بالكلية قوله والمعنى فاعبد
ما دمت حيا اي معنى التقييد بقوله حتى ياتيك اليقين مع ان كل احد يعلم انه اذا مات سقطت
عنه العبادات التكليف بالاستمرار والمواظبة على العبادة ابدا ما دام حيا لانه لو قيل اعبد ربك
الا انام من غير توقيت لجاز اذا عبد مرة ان يكون مطيعا ممتثلا للامر بناء على ان الامر لا
يقتضي التكرار فلما قيد بحتى ياتيك اليقين فقد امر بالاقامة ابدا ما دام حيا قوله

Copyright © King Saud University